

كن متفائلاً





سلسلة كُن

٢٥

كُن متفائلاً



إعداد
خيّاط محمّد النّمس

إشراف
عاطف عبد الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّفاؤلُ ثقةٌ في رَحْمَةِ اللهِ وَغُفْرَانه ويَقينٌ في عطَائه، وتأكُّدٌ مِنْ فَرَجِهِ وَقْتَ الشَّدائدِ والصِّعَاب؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وتَكْمُنُ فَائِدَةُ التفاؤلِ في أَنَّهُ يَجْعَلُ المرْءَ مُقْبِلاً عَلَى الحَياة، غَيْرَ نَاقِمٍ عَلَى نَفْسه وَغَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، فَيَصيرُ بِذَلِكَ مُحَبَّبًا إِلَى اللهِ ـ تَعَالَى ـ وَمُقَرَّبًا إِلَى النَّاس.

والمُسْلِم يَعْرِفُ أَنَّ الْيَأسَ والتَّشاؤمَ لاَ يَجْلبَانِ إِلَيْهِ خيرًا، وَلاَ يَدْفَعَانِ عَنْهُ أَذَى. والدُّنْيا بِمَا أُوتِيتْ مِنْ أَلْوانِ الخَيرِ تَدْعُو المَرْءَ دَائِمًا إِلَى الرَّجَاءِ والتَّفاؤلِ، وَتبغِّضُ إِلَيْهِ الْيَأسَ والتَّشاؤمَ، يقولُ الشاعرُ:

هَشَّتْ لَكَ الدُّنيا فَما لَكَ وَاجِمٌ

وَتَبَسَّمَتْ فَعَلامَ لاَ تَتَبَسَّمُ

وَلِلْعَبْدِ الْمُتَّصِفِ بالتَّفاؤلِ والرّجَاءِ البُشْرَى فِي الدُّنْيا

والآخِـرَةِ، فَـاللهُ تَعَـالَى يَقُـولُ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التَّوبَة: ٢١].

كُنْ راَجِيًا مُتَفائِلاً

لَنْ يكْتملَ إيمانُ امْرِئٍ مَا لَمْ يكُنْ رَاجِيًا مُتَفائِلاً تاركًا الْقُنوطَ والتَّشاؤمَ. وَمِنْ صُوَرِ الرجَاءِ والتَّفاؤل الَّتِي نَدْعُوكَ إِلَيْها: رجاءُ رَحْمَةَ اللهِ وعَونهِ وثَوابِهِ، والتفاؤلُ بعفوه وفَرَجِهِ والفوزُ بِنَعيمِ الآخِرةِ.

كُنْ مُتَفائِلاً بِعَفْوِ اللهِ ورحمتهِ

كَتَبَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، وَدَعَا عِبَادَهُ إِلَى الثِّقَةِ فِي رَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ، فَهُوَ ـ سُبْحَانَهُ ـ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ، وَهُوَ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ العَفُوُّ الغَفُورُ.

يَقُولُ ـ تَعَالَى ـ عَنْ عَبْدِهِ المؤْمِنِ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزُّمر: ٩].

*** كُنْ مُلْتَزِماً بِخُلُقِ التَّفاؤل بِعَفْوِ اللهِ ورحمتهِ بِمَا يَلِي :**

الثِّقَةُ فِي رَحْمَةِ اللهِ: كُلُّ مُسْلِمٍ يَثِقُ فِي رَحْمَةِ رَبِّهِ، وَلاَ يَشُكُّ في أَنَّها تَسَعُ النَّاسَ والخَلْق جَمِيعًا.

يَقُولُ ـ عزَّ وَجَلَّ ـ مُؤكِّدًا أَنَّ رَحْمَتَهُ لاَ حُدُودَ لَهَا: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وَعَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّاب ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَدِمَ عَلَيَّ رسُولُ اللهِ ﷺ بِسَبْي، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى حتَّى إِذَا وَجَدَت صَبِيًّا في السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْزَقَتْهُ ببطْنها فَأَرْضَعَتْهُ. فَقَال رسُولُ اللهِ ﷺ: "أَتَرَوْنَ هَذه المرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَها في النَّار (تُلْقِيه في النَّار)؟". قُلْنا: لاَ واللهِ. فَقَالَ: " لَلَّهُ أرحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذهِ بِولَدِهَا" [مُتَّفق عليه]

٢ ـ رَحْمَةُ اللهِ سَبَقَتْ غَضَبَهُ: بَيَّنَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ فَهُو ـ سُبْحانَهُ ـ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رسَولُ اللهِ ﷺ: "لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخلْقَ كَتَبَ في كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي، وَفِي رِوَايَةٍ: غَلَبتْ غَضَبِي، وَفِي رِوَايَةٍ: سَبَقَتْ غَضَبِي" [مُتفق عليه].

٣ ـ غُفْرانُ اللهِ في الآخِرَة: كَتَبَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مَغْفِرَتَهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُذْنب إِذَا مَا صَدَقَ في التَّوبَةِ والرُّجُوعِ إِلَيْه؛ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ قَالَ: سَمِعْتُ رسَوُلَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

"يُدْنَى المؤمنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ (رَحْمَتَهُ وَسِتْرَهُ) فَيُقَرِّرُهُ بِذنُوبِه، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتعرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: رَبّ أعْرِفُ. قَالَ: قَدْ سَتَرتُها عَلَيْكَ في الدُّنْيا، وأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ. فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ" [مُتّفق عَلَيه].

٤ ـ **فِعْلُ الخَيْراتِ والْحَسَنَاتِ**: يَتِمُّ رَجَاءُ العَبْدِ وتَفَاؤلُهُ إِذَا مَا فَعَلَ صُنُوفَ الخَيرِ وَصُورَ الطَّاعَات؛ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِنَ امْرأةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ قَوْلَهُ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾. فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِي هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "لِجَميعِ أُمَّتي كُلِّهِمْ" [مُتَّفق عليه].

٥ ـ **التَّوبَةُ**: يَصْدُقُ رَجَاءُ العَبْدِ إِذَا تَابَ عَنْ ذُنُوبِهِ، وَعَزمَ ألاَّ يَعُودَ إِلَيْها أَبدًا؛ عَنْ أَبِي مُوسَى ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ باللّيلِ لِيَتوبَ مُسِيءُ النَّهارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا" [مُسْلم].

٦ ـ **الاحْتِسَابُ بِالله**: إنَّ مَنْ يَحْتَسِبُ وَيَتَوكَّلُ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوكُّلِهِ لاَ يَعْرِفُ القُنُوطُ واليَأسُ إِلَيْهِ طَرِيقًا؛ وعَنِ ابْنِ

عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ: "حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوكِيلُ" قَالَهَا إبْراهِيمُ حينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَها مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُم فَاخْشَوهُمْ فَزَادَهُم إِيْمَانًا، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوكِيلُ" [البُخاري].

٧ ـ **الاقْتِداءُ بِالصَّحابَةِ**: لَقَدْ أحْسَن صَحَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الرَّجاءَ والتَّفاؤلَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَعَفْوِهِ. ولَعَلَّ أَبَا بكْرٍ الصِّديقَ ـ رضي الله عنه ـ كَانَ أسبَق النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى ذَلِكَ؛ يَقُولُ حَسّانُ بنُ ثَابِتٍ ـ رضي الله عنه ـ عَنْ أَبِي بكْرٍ الصِّديقِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ:

إِذَا تَـذكَّرْتَ شَـجْوًا مِـنْ أَخِـي ثقَـة
فَاذْكُـرْ أخَـاكَ أَبَـا بكْـرٍ بِمَـا فَعَـلاَ
خَـيرُ البَرِيَّـةِ أتْقَـاها وَأفْضَـلُها
بَعْـدَ النَّـبِيِّ وَأوْلاَهـا بِـمَا حَمَـلاَ
والثَّـاني والتَّـالِي والمَحْمُـودُ مَشْهَـدُهُ
وَأوَّلُ النَّـاسِ مِـنْهُم صَـدَّقَ الرّسـلاَ

* ثِمارُ التمسكِ بالرَّجَاءِ في رَحْمَةِ اللهِ والتَّفَاؤلِ بِعفْوِهِ :

١ ـ غُفْرانُ الذَّنْبِ : يَغْفِرُ الله تَعَالَى ذُنُوبَ عِبَادِهِ الرَّاجِينَ رَحْمَتَهُ الْمُتَفائلينَ بِعفْوِهِ؛ عَنْ أَبِي هُرَيرةَ ـ رضي الله عنه ـ عَنِ النَّبيِّ ﷺ فِيمَا يَحكِي عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى قَالَ: "أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ اللهُ تَبارِكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِيْ ذَنْبِي. فَقَالَ تَبارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فعلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ مَا يَشَاءُ" [متفق عليه]. قَولُهُ: "فَلْيَفْعل ما يشاءُ" أي: مَا دَامَ يُذْنبُ وَيتُوبُ فَإنِّي أغْفِرُ لهُ".

٢ ـ الحفِظُ مِنَ السُّوءِ : يَحْفَظُ اللهُ ـ عَزَّ وَجلَّ ـ عَبْدَهُ الرَّاجِيَ رَحْمَتَهُ الْمُتَفائلَ بِعفْوِهِ مِنْ كُلِّ مكْرُوهٍ وَسُوءٍ؛ قَالَ تَعَالَى إخْبارًا عَنِ العَبْدِ الصَّالح: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ [غافر: ٤٤ ـ ٤٥]

٣ ـ **حُسنُ الظَّنِّ باللهِ** : الرَّجَاءُ والتَّفاؤلُ يَنُمَّانِ عَنْ حُسْنِ ظَنِّ العَبْدِ بِرَبِّه، فَلَيس حَسَنَ الظَّنِّ بِرَبِّه مَنْ ييأسُ مِنْ رَحْمَتِه وَعَفْوِه؛ عَنْ جَابِرٍ ـ رضي الله عنه ـ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ قَبْلَ مَوْتِه بِثَلاثَة أَيَّامٍ يَقُولُ: "لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُم إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ" [مسلم]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِي اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي... " [مُتَّفقٌ عليه].

٤ـ **الثَّبَاتُ مِنَ اللهِ**: يُثَبِّتُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ مَنْ يَرْجُو رَحْمَتَهُ ويتَفاءلُ بِعفْوِهِ ـ سُبحانَهُ ـ، قَالَ تَعالَى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

كُنْ مُتَفائِلاً بِفَرَجِ اللهِ

لَيْسَ هُناكَ مَنْ هُوَ فِي مَنجًى مَنْ الوُقُوعِ في الشَّدائدِ والصِّعَابِ، وَالمسْلِمُ الحَقيقيُّ هُوَ الَّذِي يَرْجُو عَفْوَ اللهِ وَيَتَفاءلُ بِفَرَجِه عِنْدَ كُلِّ مَكْروهٍ يُحيطُ بِهِ.

*** كُنْ مُلْتَزِماً بِخُلُقِ الرَّجَاءِ في عَوْنِ اللهِ والتَّفَاؤلِ بَفَرَجِهِ بِمَا يَلِي:**

١ ـ **تَفْويضُ الأَمْرِ إِلَى اللهِ**: إِذَا أَصابَ المرءَ مكْروهٌ فَفَوَّضَ الأَمْرَ إِلَى خَالِقِهِ، وَجَدَهُ مُعِينًا لَهُ وَمُفَرِّجًا كُرْبَتَهُ، فَفِي

ذَلِكَ يَقِينٌ بِأَنَّ مَا يُصيبُ الْمرءَ إِنَّما هُوَ مُقَدَّرٌ عَلَيْهِ. يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾

٢ ـ **الثِّقَةُ فِي اللهِ**: عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَثِقَ في قُدْرَةِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَهُوَ وَحْدَهُ القَادِرُ عَلَى عَوْنِ العَبْدِ وتَفْرِيجِ كُرْبَتِهِ؛ لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ وَصَاحِبُهُ مُهاجِرَيْن إِلَى الْمدينَةِ، اخْتَبَأَ الرسُولُ وَأَبُو بكْرٍ بِغَار ثَور، فَتَبِعَهُما الكُفَّارُ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الغَار، وَلَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ تَحْتَ قَدَمِه لأَبْصَرَ النَّبيَّ وَصَاحِبَهُ. يَقُولُ أَبُو بكْرٍ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدامِ الْمُشركينَ وَنَحْنُ في الغَارِ، وَهُم عَلَى رُؤُوسِنَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُم تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا، فقَالَ ﷺ: " يَا أَبَا بكْرٍ، مَا ظَنُّكَ باثْنَينِ اللهُ ثَالِثُهُما؟" [مُتَّفقٌ عليه].

٣ ـ **الدعاءُ**: الدعاءُ الخَالِصُ لِوَجْهِ اللهِ يَفْتَحُ لِصاحِبِهِ بَابَ العَونِ مِنَ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ؛ عَنْ أُمِ المُؤمِنينَ أُم سَلَمَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْها ـ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: "بِسْم اللهِ، تَوكَّلْتُ عَلَى اللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ" [أبو داود والتِّرمذي].

* ثمارُ التمسّك بِخُلُقِ الرَّجَاءِ فِي عَونِ اللهِ والتَّفَاؤلِ بِفرجِه :

١ ـ **النَّجاةُ والنُّصْرَةُ**: تكونُ النَّجاةُ والنُّصْرَةُ جَزَاءً لكُلِّ مَنْ يَتَمسَّكُ بالرَّجَاءِ فِي عَوْنِ اللهِ، فَلا ييأسُ مِنْ تَحقُّقِ فَرجِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ: كانَ آخِرَ قَوْلِ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ حِينَ أُلقيَ في النَّارِ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوكِيلُ.

٢ ـ **نِعْمَةُ اللهِ وَفَضْلُهُ**: يُثِيبُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ كُلَّ رَاجٍ عَوْنَه، مَتَفائلٍ بِفَرَجِهِ ونعْمَتِهِ وفَضْلِه؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٤].

٣ ـ **وَعْدُ اللهِ**: يُجازِي اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الْمُؤمِنينَ الراجِينَ عَوْنَهُ بِأَنْ لاَ يُخْلِفَهمُ وَعْدَهُ الّذي وَعَدَهُم إيَّاهُ، وَهُو الفوزُ بِنَعيمِ الْجَنَّةِ الْمُقِيمِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

كُنْ مُتفائِلاً بنَعيم الآخِرة رَاجِياً ثَوابَ الجَنَّةِ

أعَدَّ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الْجَنَّةَ بِنَعيمِهَا الْمُقِيم لِلمُؤْمنينَ مِنْ عِبادِهِ. وَفي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَمَا أربَحَ تِجارَة الْمُؤمِنينَ الَّتي تَقُودُهُم إلَى نَعيمِ الْجَنَّة؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فَاطر: ٢٩].

كُنْ مُلْتَزِمًا بنَعيمِ الآخِرَةِ بمَا يَلي:

١ ـ **الإيْمانُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ**: إنَّ كُلَّ رَاجٍ ثَوابَ الجنَّةِ يَشْهَدُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه؛ عَنْ عُبَادَةَ ابنِ الصَّامِتِ ـ رَضِي اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ شَهِدَ أنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ" [مسلم].

وَعَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: "يَا مُعَاذُ" قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْديكَ. (ثلاثًا). قَالَ: "مَا مِنْ عَبْدٍ

يَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ". قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: "إِذًا يَتَّكِلُوا"، فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا. [متفق عليه]. (تَأَثُّماً: أيْ خَوْفاً مِنَ الوقوعِ فِي الإِثْمِ بسببِ كَتْمِ هَذَا العِلمِ).

٢ ـ **العَمَلُ بِالمُوجِبَتَيْنِ**: أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِالمُوجِبَتَيْنِ، فَإِذَا لَمْ يُشْرِكِ الْمَرْءُ بِاللهِ شَيْئًا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ؛ عَنْ جَابِرٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا المُوجِبَتَانِ؟ قَالَ: مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يَشركُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ" [مسلم].

٣ ـ **إِرْضَاءُ اللهِ لِرَسُولِهِ فِي أُمَّتِهِ**: مِنْ دَوافِعِ الرَّجَاءِ والتَّفاؤلِ بِنَعيمِ الجَنَّةِ وثَوابِ الآخِرَةِ أَنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ وَعَدَ أَلاَّ يُخْزِيهُ في أُمَّتِهِ، فَهِيَ خَيرُ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ تَلاَ قَوْلَ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في إبْراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّىۖ﴾ [إبراهيمُ: ٣٦]، وقَالَ عِيسى عَلَيْهِ السَّلاَمُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]

فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ أُمَّتِي" وَبَكَى. فَقَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: "يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ـ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ـ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟". فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: " يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلاَ نَسُوءُكَ" [مُسْلِم].

٤ ـ أَدَاءُ حَقِّ اللهِ: يَصْدُقُ رَجَاءُ الْمَرءِ فِي الجَنَّةِ وَتَفَاؤُلُهُ بِنَعِيمِ الآخِرَةِ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللهِ عَلَيْهِ؛ عَنْ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ (خَلْفَ) النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: "يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟". قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: "لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُواْ" [متفق عليه].

*** ثِمارُ التمسكِ بِخُلُقِ التَّفَاؤلِ بِنَعِيمِ الآخِرَةِ:**

١ ـ الفَوزُ والنَّجاةُ: يكونُ الفَوزُ والنَّجاةُ حَلِيفانِ لكُلِّ راجٍ نَعيمَ الْجَنَّةِ، مُتَفَائِلٍ بِثَوابِ الآخِرَةِ، وَيُحذِّرُ اللهُ الكافِرينَ فَيَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا

وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس ٧ ـ ٨].

٢ ـ دُخُولُ الْجَنَّةِ والنَّجاةُ مِنَ النَّارِ: يُكَافِئُ اللهُ تَعَالَى كُلَّ مُؤمنٍ رَاجٍ ثَوابَ الْجَنَّةِ ونَعيمَ الآخِرَةِ بِأنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ خَالدًا فِيهَا أبدًا. عَنْ أَبِي مُوسَى الأشْعَرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ ﷺ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ دَفَعَ اللهُ إِلَى كُلِّ مَسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذا فكَاكُكَ مِنَ النَّارِ" [مسلم] أي: المُؤمِنُ إِذَا دَخَلَ الجنَّةَ خَلَفَهَ الكَافِرُ في النَّارِ؛ لأنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِذلِكَ بِكُفْرِه.

لاَ تَكُنْ قَانِطاً مُتَشائِمًا

القُنُوطُ والتَّشاؤمُ ضِدُّ التَّفاؤلِ والرَّجَاء، وهُو تَملُّكُ اليَأسِ مِنَ الْمَرءِ، فَتُصْبحُ الدُّنْيا أمَامَ عَيْنَيه أضْيَقَ مَا تَكُونُ.

١ ـ لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ: نَهى الرَّسُولُ ﷺ عن الطِّيَرَةِ (التَّشاؤُم) وَحَبَّبَ في التَّفاؤلِ. عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: " لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَألُ". قَالُوا: وَمَا الْفَألُ؟ قَالَ: "كَلِمةٌ طَيِّبَةٌ" [مُتَّفقٌ عليه].

٢ ـ الْقولُ الْواجِبُ: نَبَّهَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الْقَولِ الْواجِبِ إِذَا مَا تَعرَّضَ المُسْلِمُ إِلى مكْروهٍ؛ عَنْ عُرْوَةَ بنِ عَامِرٍ ـ رَضِيَ

اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: ذَكَرْتُ الطِّيَرَةَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لاَ يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلا أَنْتَ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ أَنْتَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ" [أَبُو دَاوُد].

٣ ـ **الْيَأْسُ مِنَ الكُفْرِ**: التَّشَاؤمُ يَقُودُ المرْءَ إِلَى الْيَأْسِ، والْيَأْسُ خُلُقُ الكَافِرِ الطَّرِيدِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

٤ ـ **خُلُقُ الرَّسُولِ ﷺ**: لَقَدْ كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ التَّفاؤلَ والرّجَاءَ، وَهُوَ الأَمْرُ الَّذِي حَقَّقَ لدَعْوتِهِ السَّامِيَةِ الانْتشَارَ بسَائِرِ أنحاءِ الأرضِ، ولمْ يكنِ الرسولُ يومًا متشائمًا رغمَ مَا تَعَرَّضَ لَهُ مِنْ أذًى فِي سَبِيلِ نَشْرِ الدِّينِ الإسْلامِيِّ؛ عَنْ بُرَيْدَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لاَ يَتَطَيَّرُ. [أبو دَاوُد].

اِعْرِفْ نَفْسَكَ.. هلْ أنتَ متفائلٌ؟

كُلُّ إِنْسَانٍ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحَدِّدَ بَيْنَهُ وَبَينَ نفْسِهِ إِذَا كَانَ رَاجِيًا مُتَفائلاً أَوْ قَانِطًا مُتَشائمًا. والأَسْئلَةُ التَّالِيَةُ تُساعِدُكَ عَلَى أَنْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ، فَهَيَّا أجبْ بصدقٍ:

١ ـ هَلْ تَثِقُ فِي رَحْمَةِ اللهِ بِعَبْدٍ أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ فِي فِعْلِ الذُّنُوبِ والآثَامِ؟

٢ ـ إِذَا أَذْنَبَ العَبْدُ، فَأَيُّهُما أَسْبَقُ؛ رَحْمَةُ اللهُ بِهِ أَمْ غَضَبُهُ عَلَيه؟

٣ ـ مَا جَزَاءُ الحَسَنَةِ؟ وَمَا جَزَاءُ السَّيِّئَةِ؟

٤ ـ كيفَ يُكافِئُ اللهُ عَبْدَهُ الرَّاجِيَ رَحْمَتَهُ الْمُتَفَائِلَ بِعَفْوِهِ؟

٥ـ إِذَا أَصَابَ أَحَدَ أَصْدقَائِكَ مكْروهٌ فتشاءمَ، فَبِمَ تَنْصَحُهُ؟

٦ ـ مَا الْمَقْصُودُ بِتَفْوِيضِ الأَمْرِ إِلَى اللهِ؟

٧ ـ هَل الدُّعاءُ مِن صُوَرِ الرَّجاءِ؟

٨ ـ ذَكَرَ الرسُولُ ﷺ المُوجِبَتَيْنِ، فَمَا هُمَا؟

٩ـ مَا الْمَقْصُودُ بِالطِّيَرَةِ؟ وماذَا تقولُ إذَا حَدَثَ لكَ مكروهٌ؟

١٠ ـ كَيْفَ كَانَ رَجَاءُ الرَّسُولِ وَتَفَاؤُلُه مُسَاعِدًا عَلَى نَشْرِ دَعْوَةِ الإِسْلاَمِ؟

** ** **

سلسلة كن

١-كن أميناً
٢-كن باراً
٣-كن تائباً
٤-كن حليماً
٥-كن حيياً
٦-كن راضياً
٧-كن رحيماً
٨-كن رفيقاً
٩-كن زاهداً
١٠-كن شاكراً
١١-كن شجاعاً
١٢-كن صابراً
١٣-كن طائعاً
١٤-كن صادقاً
١٥-كن عادلاً
١٦-كن عزيزاً
١٧-كن عفواً
١٨-كن عفيفاً
١٩-كن كتوماً
٢٠-كن كريماً
٢١-كن مؤثراً
٢٢-كن متأنياً
٢٣-كن متعاوناً
٢٤-كن متواضعاً
٢٥-كن متفائلاً
٢٦-كن متوكلاً
٢٧-كن محباً
٢٨-كن مخلصاً
٢٩-كن مستقيماً
٣٠-كن مشاوراً
٣١-كن مضحياً
٣٢-كن معتدلاً
٣٣-كن نصوحاً
٣٤-كن ورعاً
٣٥-كن وفياً

٨١٠٠٥٤